الصحابة خط أحمر

لا ينتهي عجبي من أرجاس أنجاس أدناس يريدون تلويث محراب الديانة وتمريغ قداسة الملة بسب الصحابة وثلم مجد السلف الأول وانتهاك حرمة الشريعة بالقدح في حامليها وكسر هيبة السّنُّة بغمز ناقليها ولو كان المتأخرون خيراً عند الله من الصدر الأول لاختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ولو كان الخلف أفضل من السلف لشرّفهم الله بشهود نزول الوحي وحضور مقامات الإسلام الكبرى كبدر وأحد وبيعة الرضوان والفتح، ولكن الواحد الأحد الذي له الخيرة سبحانه وله حكمة الاصطفاء ومعرفة من يستحق الاجتباء اصطفى الصحابة الأخيار لنصرة النبي المختار ﷺ ثم زكاهم ومدحهم ورضي عنهم، فمتى علم هؤلاء المتأخرون الأوغاد أن الله ذم الصحابة بعد مدحهم وقدح فيهم بعد تزكيتهم؟ وغضب عليهم بعد ما رضي عنهم؟ أما ميّزهم بوصف المعية، فقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾؟ أما بشرهم بالرضوان، فقال: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾؟ أما أفرح قلوبهم بالتوبة، فقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾؟ أما أثنى على مقاصدهم فقال ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾؟ أما نوّه بوصفهم، فقال عنهم: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾؟ أما بيّن نور الإيمان في وجوههم فقال: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾؟

وبعد هذا كله يأتي منافق ملوث بالمعتقد الفاسد والعمل الخبيث والخلق الدنيء والسلوك القبيح فيتهم الصحابة بالخيانة، بل يرميهم بالردة ويخلع عليهم أشنع الألقاب وأحط الأوصاف زوراً وبهتاناً وقصده من ذلك هدم عمود الدين ونسف معقل الإيمان؛ لأن الصحابة هم الحماة والرعاة والسفرة الكرام والقادة العظام الذين كان لهم طرف في السبق بالتضحيات، ولهم قدم الصدق في حفظ الآيات، ورفع الرايات، فرضي الله عنهم وأرضاهم، أي مجد للإسلام رفعوه؟ وأي بناء

للكفـر وضعـوه؟ وأي جهد بذلوه؟ وأي دم زاكٍ في سبيـل الله سفكوه؟ بذلوا المهج، أرخصـوا الغـالي، فارقوا الأوطـان، تركوا الديـار، خرجوا من الأمـوال، هجروا الأحبة، قاتلوا القرابة، ركبوا المهالك، خاضوا المعارك؛ لترتفع لا إله إلا الله محمد رسـول الله، تجرعوا الغصص، تحملوا الأذى، ذاقوا صنوف المشاق وأنواع المكاره؛ لينصروا الدِّين، ويذبوا عن سيد المرسلين، ويرضوا رب العالمين، فجزاهم الله عنا وعن الإسلام خيراً وأكرم نزلهم ورفع درجاتهم في عليين وجمعنا بهم في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

اخرسـ يا كل مارد فاجـر، اسكت يا كل كذاب أشر، صـهٍ يا كل عميل مارق، اصمت يا كل فتّان مشبوه، ماذا قدّمت للإسلام؟ ماذا تركت من آثار؟ ماذا سجلت من تاريخ؟ أنت وأمثالك أدعياء على مأدُبة الفضيلة، ومرتزقة على مائدة الكرام، أنت شقي والشقي محروم من الصواب، مطرود عند الأبواب، بينهم وبين الرحمة حجـاب، أنت خاسر والخاسـر لا يُوفق لريادة، ولا يظفر بسيادة، ولا يؤهل لقيادة، أنـت صفر مهمل لا قيمـة لك وليس لك ثمن في عالم الأحيـاء، ولا مكان في منازل الشرفاء، ولا اسم في سجل الأوفياء، مت بغيظك فقد دخل الصحابة الجنة، وفازوا بالرضـوان، وحازوا كرامة الرحمن، ورافقوا في جنـة الخلد سيد ولد عدنان، وفي المقابـل هنيئاً لمـن أحب الصحابة وتولاهم، واقتفى آثارهـم، وسار على منهجهم، ويكفيـه مدح الله له بقولـه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾.

العلم يدعو للتواضع وهضم النفس

لا يتواضع إلا عالم، ولا يهضم نفسه إلا لبيب كريم، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾، لأن من عرف عظمة الله وأسرار قدرته وقوة بطشه وجبروته وتمام جلاله، وكماله، وعرف أيضاً ضعف الإنسان وعجزه وتقصيره وذلّته وحاجته وذنبه وخطأه حينها يعرف أنه إنسان بسيط صغير فقير حقير، وأن ربه كبير قدير قوي عزيز فيخضع ويتواضع ويخشع تحت سلطان ربه ومولاه ويذعن لخالقه ومدبر أمره فلا تجد العالم إلا ساكناً مخبتاً خاشعاً، ولقد قرأت سير علماء أجلاء وأئمة وفقهاء ومجددين ومصلحين فاستنزفوا دمع العين بحسن سيرهم ولطيف أخبارهم بلطف تواضعهم وإمامهم في ذلك رسول الحق وإمام الخلق ولسان الصدق محمد بن عبدالله ﷺ، فكان يجلس على التراب فيقول: «**أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد**».

وكان يحلب شاته ويخيط ثوبه ويكنس بيته ويقف مع العجوز والأرملة ويلاعب الأطفال ويمازح أصحابه وينتهي حيث ينتهي به المجلس ويركب الحمار ويلبس المرقّع ويربط الحجر على بطنه من الجوع، فسار على نهجه أئمة الإسلام وعلماء الدين فكانوا آية في التواضع والانكسار أمام عظمة الله والخشية تحت قدرة الواحد القهار بخلاف الجهلة الحمقى أهل الرعونة والكبر وقلة الأدب حتى إني قرأت سيرة الحجاج ورأيت هذا المتكبر المتجبر أحمق غبيًّا يسفّه آراء العلماء ولا يقبل وعظ النصحاء ويظلم عباد الله ويختال في أرض الله ومثله أبو مسلم الخراساني الجبار الأشر والسفاح البطر كان يصعِّر خدّه ويمشي الخيلاء ويهين الناس ومثله الحاكم بأمر الله الفاطمي المسرف الكذاب كان يبطش بعباد الله ويسفك دماءهم ويسرق أموالهم وإذا قام أحد لنصحه قتله مباشرة وقس على هؤلاء كل جبار عنيد وسفاح أهوج وطاغوت مريد بخلاف أهل الحكمة والعلم والبصيرة حتى من غير المسلمين.

وإني أنظر في حياة الفلاسفة والحكماء والمخترعين والمبدعين، وأتعجب من سمو أخلاقهم ورقة طباعهم وحسن ذوقهم وقربهم من الناس، وقد ذكروا تواضع

إينشتاين مع العلم مع أنه من أذكياء العالم وعباقرة الدنيا كان يقول: (أنا إذا شككت بقدرة الله نظرت في الكون، فعلمت بعدها أن الله حكيم لا يلعب بالنرد سبحانه)، وطالعت سيرة الإمام أحمد بن حنبل، فكان قريباً من الكبير والصغير والمسكين والفقير يلبس ثياباً بالية ويتبسّم للناس ولا يؤذي أحد ولو بكلمة، وكان يحمل الحطب على رأسه ويخدم أسرته، يقول أحدًا، الفلاسفة: لا يتواضع إلا كبير القدر، ولقد رأيت في حياتي علماء أجلاء فأسرني تواضعهم وسحرني لطفهم حتى إن الذي لا يعرفهم يظن أن أحدهم خادم من حسن قيامه على ضيوفه ولطفهم بزائريهم.

ولقد زرت سماحة العلامة عبدالعزيز بن باز عشرات المرات، فترك في قلبي صوراً لا تُنسى من التواضع ورقة المشاعر والإقبال على الصغير والكبير وهضم النفس والمسكنة والخشية، وزرت مع طلاب من الجامعة الشيخ العلامة محمد بن عثيمين في بيته بعنيزة، فأجلسنا في صدر المجلس ونحن طلاب صغار وقام والله يخدمنا ويصب لنا القهوة بنفسه متواضعاً متبسماً هاشًّا باشًّا تكاد روحه تذوب رقةً وحناناً ورحمةً ومحبةً وعطفاً وفي المقابل رأيت بعض طلبة العلم الناقصين في علمهم المقصرين في عملهم وبعض الموظفين والجنود والعامة الذين لا يعرفهم أحد، ولا يدري بهم بشر، والذين هم نكرات كأنهم ما خُلقوا أصلاً فأجد عند أحدهم من الفظاظة والغلظة وعبوس الوجه والتكلّف في الجلوس والمشي والعجب والكبر ما أذهلني، وأتساءل في نفسي: على ماذا هذا الكبر ورؤية النفس، أديك أعمى ويناقر؟ أحشفاً وسوء كيل؟ أأبكم ويغني؟ فلا عقل رجيح، ولا نسب صريح، ولا لسان فصيح، ولا وجه صبيح، بل جهل وغباء، وحمق ورذالة، وجهل ونذالة، وبخل وقسوة: ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍۚ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾.

بالله عليكم هل يجوز لإنسان مهما بلغ في عالم الدنيا أن يتكبر؟ وهو مخلوق من طين، ومصوّر من ماء مهين، أتى من التراب ويعود إلى التراب، وهو يجوع وينسى ويغفل وينام ويمرض ويذنب ثم يموت بعدها، ولهذا قال الله تعالى: (**العظمة إزاري والكبرياء ردائي من نازعني فيهما قصمته ولا أبالي**).

العرب لا يقرؤون

إذا ركبت مع أوروبي وجدته خانساً منغمساً يقرأ في كتاب، وإذا ركبت مع عربي وجدته يبصبص كالذئب العاوي، أو كالعاشق الهاوي، يتعرف على الركاب، ويسولف مع الأصحاب والأحباب، بيننا وبين الكتاب عقدة نفسية، ونحن أمة: ﴿اقْرَأْ﴾، ولكن ثقلت علينا المعرفة، وخف علينا القيل والقال، ولو سألت أكثر الشباب: ماذا قرأت اليوم؟ وكم صفحة طالعت؟ لوجدت الجواب: صفر مكعَّب، مع العلم أن غالب الشباب بطين سمين ثخين بدين؛ لأنه مجتهد في تناول الهامبرجر والبيتزا، وكل ما وقعت عليه العين، ووصل إلى اليدين:

سلوا الصحون التباسي عن معالينا

واستشهدوا البَيْضَ هل خاب الرجا فينا

كم (كبسة) شهدت أنا جحافلها

وكم خروفٍ نهشناه بأيدينا

يحتاج شبابنا إلى دورات تدريبية على القراءة؛ لأنهم وزّعوا الأوقات على السمر مع الشاشات، أو التّحلق على الكبسات، أو متابعة آخر الموضوعات، الإنسان بلا قراءة قزم صغير، والأمة بلا كتاب قطيع هائم، طالعت سِيَر العظماء العباقرة، فإذا الصفة اللازمة للجميع مصاحبتهم للحرف، وهيامهم بالمعرفة وعشقهم للعلم، حتى مات الجاحظ تحت كتبه، وتوفي مسلم صاحب الصحيح وهو يطالع كتاباً، وكان أبو الوفاء ابن عقيل يقرأ وهو يمشي، وقال ابن الجوزي: قرأت في شبابي عشرين ألف مجلدة، وقال المتنبي: **وخير جليس في الزمان كتاب**، سألت شباباً عن مؤلفي كتب مشهورة، فجاءت الإجابات مضحكة، قال صاحب كتاب فن الخطابة: العظمة هي قراءة الكتب بفهم، وقال الروائي الروسي الشهير تيولوستي: قراءة الكتب تداوي جراحات الزمن، وقال الطنطاوي: أنا من ستين سنة أقرأ كل يوم خمسين صفحة، ألزمت نفسي بها:

جمالَ ذي الدارِ كانوا في الحياةِ وهمْ
بعدَ المماتِ جمالُ الكتبِ والسيَرِ

صح النوم يا شباب، فقد انقضى العمر، وتصرّمت الساعات، وقتل الزمان بالهذيان وأماني الشيطان وأخبار فلان وعلّان، استيقظوا يا أصحاب الهمم الهوامد، والعزائم الخوامد، والذهن الجامد، والضمير الراقد:

وَلَو نار نفخت بِها أَضاءَت
وَلَكن أَنتَ تَنفخ في رَمادِ

قاتل الله التسويف والإرجاف، وسحقاً لمن زرع شجرة ليت لتثمر له سوف، وتخرج له لعلَّ؛ ليذوق الندامة:

وَمُشَتَّتِ العَزَماتِ يُنفِقُ عُمرَهُ
حَيرانَ لا ظَفَرٌ وَلا إِخفاقُ

حيّا الله الهمم الشماء، والعزيمة القعساء، التي جعلت أحمد بن حنبل يطوف الدنيا؛ ليجمع أربعين ألف حديث في المسند، وابن حجر يؤلّف فتح الباري ثلاثين مجلداً، وابن عقيل الحنبلي يؤلف كتاب الفنون سبع مئة مجلد، وابن خلدون يسجّل اسمه في عواصم الدنيا، وابن رشد يجمع المعارف الإنسانية:

لولا لطائف صنع الله ما نبتتْ
تلك المكارم في لحمٍ ولا عصبِ

وددتُ أنَّ لنا يوماً في الأسبوع يخصص للقراءة، ويا ليتنا نبدأ بمشروع القراءة الحرّة النافعة عشر صفحات كل يوم تُقرأ بفهم من كتاب مفيد؛ لنحصد في الشهر كتاباً وفي السنة اثني عشر كتاباً، ولتكن قراءة منوّعة فيما ينفع؛ لتتضح أمامنا أبواب المعرفة، وتتسع آفاقنا، وتُنار عقولنا.

فيا أمة ﴿ اَقْرَأْ ﴾ هيا إلى قراءة راشدة، واطلاع نافع، وثقافة حيّة، ومعرفة ربانية، وسوف تنتهي بكم التجارب إلى أن الكتاب خير جليس، وشكراً للأمير بن صمادح، حيث يقول:

وزهَّدني في الناس معرفتي بهم
وطول اختباري صاحباً بعد صاحبِ

فلم تُرني الأيام خِلاً يسرني
بَواديه إلا ساءني في العواقبِ

ولا صِرتُ أدعوهُ لدفع ملمة
منَ الدهرِ إلّا كانَ إحدى النوائب

بطاقتنا الشخصية

شرفنـا الوحيد الذي عرفنا به العالم هو رسالة الإسلام الخالدة، فلم نُعرف في العالم ببطاقة شخصية تعرِّفنا إلا بالإسلام، ليس لنا هوية ولا ريادة ولا سيادة ولا قيادة إلا بالإسلام، ليس لنا تميز بين أمم الأرض ولا خصوصية ولا رفعة ولا علو إلا بالإسلام، ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. العالم لا ينتظـر منا أن نقدم له عبقريـات في الآداب والفنون والعلوم فقد سبقنا العالم في هـذه المراحل وأنجز في هذا الحقل إنجـازات تبهر العقول وتخلب الألباب فهل نأتي إليه ونحن بدائيون في هذا الباب باكتشافات أصبحت عنده قديمة، والعالم لا ينتظر منا صناعات متطورة ولا اختراعات متفوّقة في عالم الطب والهندسة والتكنولوجيا، فهيهـات لقـد أبدع سوانـا أيما إبداع في هـذه الاختراعات واخـترق الفضاء ووصل إلى عطـارد والمريخ وأنتـج القنبلة النووية وتفنن في الاستيـلاء على ثروات المعمورة وخيرات الأرض والعالم لا ينتظر منا فلسفات مذهبية أرضية ولا نظريات اجتماعية ولا مناهـج قوميّة بشرية فها هـي مناهج الغرب والشـرق وفلسفاته ونظرياته تملأ الكون فينال عليها عباقرتهم أعلى الجوائز العالمية لجائزة نوبل وغيرها.

العـالم ينتظـر منا شيئاً واحـداً امتزنا بـه واختصنا الله بـه وشرّفنا الله به ورحم الله به وامتنَّ الله علينا به ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾، وليس لنا إلا هذه البطاقة بين أمم الأرض بطاقة الإسلام فإما أن نحملهـا ونتشرف بالدعوة إليها فيعرفنا الناس ويحترمنا البشـر ويكرمنـا العـالم كما عـرف أسلافنا واحترمهـم وأكرمهـم؛ لأنهم حملوا بطاقـة لا إله إلا الله، وإما ننبذها ونطرحها ونهملها ونبحث عن بطاقة أخرى غير الإسلام، فلا يعترف بنا أحد ولا يكرمنا بشر، ولا يحتفي بنا أناس.

ماذا نقدم للعالم إذا لم نقدم لهم رسالة الإسلام؟ هل نقدم لهم طرحاً سياسيًّا ونحن في عالم السياسة مبتدئون فقراء أميّون؟ هل نقدم لهم نظرية فلسفية ونحن لا نملك قدرتهم في الفلسفة ولا مستواهم في هذا الفن فهم أساتذته ورواده؟ هل نقدم لهم دراسة جديدة في الآداب والفنون والعلوم وقد سبقونا بمئات السنوات واستعمروا بها أكثر بلاد المسلمين وصاروا فيها آية للسائلين وقبلة للباحثين؟ هل نقدم لهم اختراعات واكتشافات في علم الطب والهندسة والطيران والبحار وعلم التربة والفضاء وهم مضرب المثل في هذه الأبواب، بل هم أبطال هذا الميدان ونجومه ونحن بالنسبة لهم كطالب صغير في الأول الابتدائي يجلس مع أستاذ كبير عبقري فريد؟ هل نقدم لهم روايات شرقية تُبنى على الخيال وتُنسج من عالم المغامرات والأهوال وهم الذين كتبوا روايات خدّرت العقل وأصابت من قرأها بذهول وسكر؛ لروعة الحبكة وإبداع الطرح والأخذ بمجامع النفوس؟

إذاً، فماذا نقدم لهم؟ ما هو الشيء الذي تميزنا به وأصبح علامة فارقة لنا وأصبح بطاقة شخصية يعرفنا بها البشر؟ ما الشيء الذي عندنا وليس عندهم؟ نجده نحن ويفقدونه ننعم به، وهم ما عرفوه وما ذاقوه؟ وهم يبحثون عنه عندنا ويسألوننا عنه وينتظرون منا أن ندلّهم عليه ونهديهم إليه، ومن بساطتنا وسذاجتنا أننا أحياناً نريد أن نحدثهم عن ثقافتهم وعبقرياتهم واختراعاتهم ونذكر أسماء علمائهم ورموزهم؛ لنظهر أننا مثقفون مطلعون عارفون، فيقابلوننا بابتسامات صفراء ساخرة بأنهم أعرف منا بهذه الفنون وهذه المصطلحات وهذه الأسماء ولسان حالهم يقول: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾، بل قال لنا بعض الدكاترة والأساتذة من العرب والمسلمين الذين يدرسون في الغرب: لا تحدثوننا كعلماء دين ودعاة للإسلام عما سبقنا إليه الغرب من علوم مادية واكتشافات هائلة وإعجاز علمي وطب وتكنولوجيا وروايات وآداب، ولكن حدثوا العالم عن هذا الكنز الثمين الغالي عن هذا التفرد والتميز الذي شرّفنا الله به، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾. أي شرف لك ولمن اتبعك، فيا

علمـاء الإسـلام، ويا دعـاة الإسلام، بالإسلام فقـط نُعرف في العـالم وبه وحده نُكـرّم ونُحترم ونُقدر ومن دونـه نحن كسائر البشر ممن يعيش التخلف الصناعي والعلمي والتكنولوجي والسياسي والاقتصادي.

تعالوا إلى الكتاب أيها الناس

نحن في حاجة ماسة إلى توعية شاملة وحملة إعلامية كبيرة تُعيد الجيل إلى القراءة والمطالعة، وكما هو معلوم في الاستقراء أن العرب أقل شعوب الأرض قراءةً واطلاعاً، وزاد على ذلك حدوث الوسائل من تلفاز ويوتيوب وجوال وغيره لتساعد على إبعادهم أكثر فأكثر عن خير جليس في الزمان ألا وهو الكتاب، وقد احتالت بعض الدول لإعادة الجيل للقراءة، ففي مصر تقوم سيارات متنقلة داخل الأحياء توزع كتباً بأثمان زهيدة مغرية للقارئ وتُنصب صناديق معبأة بالكتب والمجلات تقرب الكتاب للناس، نحن نقدم حاجة البطن ألف مرة على حاجة العقل، فعندنا تمدد وتضخم في الأجسام، وضمور وانكماش في الأفهام، في الشارع الواحد بالرياض أو جدة أو الدمام أو غيرها عشرات المطاعم من المضغوط والمندي والمظبي والحنيذ والمشوي والكباب والمثلوثة والأكلات الشعبية، ولا تجد إلا مكتبة واحدة خاوية على عروشها لا يرتادها إلا من كُلف ببحث جامعي وأُجبر على شراء دفاتر أو حقائب.

لم أشاهد الإعلام عندنا قام بحملة قوية مقنعة تدعو الناس للقراءة ولهذا إذا جلست في مجموعة وأحببت أن تعرف مدى مستواهم المعرفي واطلاعهم وثقافتهم فاسألهم عن عناوين الكتب وأسماء العلماء وقضايا التاريخ وبدهيات المعرفة ومسلّمات العلوم، تشاهد عجباً من قلة المعرفة وضحالة الاطلاع، يقول أحد الأساتذة: سألت أحد الطلاب في الثانوية وقلت له: الكتاب لسيبويه من ألفه؟ فقال الطالب: الله أعلم، سل أبناءك وبناتك في البيت عن الكتب المشهورة ومؤلفيها، وسوف تدرك صحة ما أقول.

أرجو من كل أب وأم أن يُوجدوا مكتبة صغيرة في بيوتهم ويختاروا طائفة نافعة من الكتب ويخصصوا وقتاً ولو قصيراً كل يوم للمطالعة الحرة، لن نرتقي ولن ننجح ولن نتقدم إلا بالعلم والمعرفة ومن أعظم مفاتيحها القراءة، ولذلك كانت

أول كلمة نزلت على رسولنا ﷺ من ربه تبارك وتعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، مر في التاريخ أن كثيراً من الخلفاء والحكام والوزراء دعوا الناس ورغبوهم إلى القراءة ومصاحبة الكتاب، فقد ألزم الخليفة الأندلسي الناصر رعيته باستحداث مكتبات منزلية وحدد جوائز للقراءة وشجع على الاطلاع بكل وسيلة.

ومن أراد أخبار القراء فعليه بكتاب: «**صفحات من صبر العلماء على شدائد التحصيل**» لعبدالفتاح أبي غدة وكتاب عشاق الكتب وكتاب عاشق وكتاب المشوق إلى القراءة وكتاب حلية طالب العلم وغيرها من الكتب.

أعرف أن عندنا شريحة هائلة تقرأ، لكن غالب قراءتها في الصحف اليومية والمجلات والدوريات وأحياناً تختار زوايا من هذه الصحف كأسعار الأسمنت وأخبار سوق الخضراوات وأنباء كرة السلة وإعلانات المستحضرات التجميلية وعالم الأزياء.

إن العقل لا يكبر بالأرز ولا بالباذنجان، ولكنه يتسع ويعظم بالعلم والبرهان، والمعرفة والإيمان نحن نأكل كل يوم ثلاث وجبات بما يقارب عشرين لوناً من المطعومات فهل لنا أن نتناول وجبة واحدة من العلم والمعرفة عن طريق كتاب نافع مفيد؟ وبما أننا مسلمون فرجائي أن نبدأ يومنا جميعاً بتدبر صفحة أو صفحتين من القرآن الكريم يومياً على الأقل وقراءة حديث نبوي واحد من رياض الصالحين للنووي؛ لأن هذا دليل إلى الجنة وبعدها نضرب في شعاب المعرفة وأودية العلم يميناً وشمالاً، متى نشاهد في كل بيتٍ ومسجدٍ وفصلٍ ومستوصفٍ ومستشفى وناد مكتبة تحمل أنبل العلوم وأجلّ المعارف؟ تعالوا لنقرأ يا أمة الإسلام، كفانا خمولاً وكسلاً وإحباطاً وجهلاً.